

فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات الثالثة

(٠٣)

شرح

# كِتَابِ الْكَبَائِرِ وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تأليف

الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي

٧٤٨-٦٦٣ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكبيرة الأولى: الشرك بالله تعالى

النسخة الإلكترونية الأولى

[www.ajurry.com](http://www.ajurry.com)

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم شرع المصنف رحمه الله في عده للكبائر

[المتن]

## الكبيرة الأولى

### الشرك بالله تعالى

وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَتَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ بَشَرٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ، أَوْ نَبِيٍّ أَوْ شَيْخٍ أَوْ جَنِّيٍّ أَوْ نَجْمٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ قَطْعًا، كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَذَّبَ.

قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ...)) الْحَدِيثُ.

وَقَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ...))، فَذَكَرَ مِنْهَا الشِّرْكَ.

وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)) صَحِيحٌ.

[الشرح]

هنا بدأ المصنف - رحمه الله - بسرد الكبائر وعدها واحدة تلوى الأخرى، وبدأ رحمه الله بكبيرة الشرك وبدء بها هو اتباع للقرآن والسنة، فالقرآن والأوامر يبدأ بأعظمها وهو التوحيد وفي النواهي يبدأ بأخطرها وهو الشرك هذا مطرد في القرآن ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأَنْعَام: ١٥١]، ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ

**مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴿[الإسراء: ٢٢-٢٣]، ثم ذكر في السياق ثمانية عشر من الأوامر والنواهي، فالقرآن في عد الأوامر يبدأ بالتوحيد وهو أعظم الأوامر وأحسن الطاعات وأجلها وأساسها، وفي النواهي يبدأ بالشرك بالله سبحانه وتعالى بالتحذير منه وكذلك السنة.

وقد ذكر المصنف حديثين في الكبائر وكل منهما بدئ بالشرك، فبدأ به المصنف -رحمه الله-.  
والشرك هو أعظم الذنوب وأخطرها، وهو الذنب لا يغفره الله تبارك وتعالى لصاحبه إن مات عليه، فمن لقي الله مشركا فمأواه جهنم خالدًا مخلدا فيها أبد الآباد لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها، كما قال الله سبحانه: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ (٣٧)﴾** [فاطر: ٣٦-٣٧]، فالشرك بالله هو أبلغ الظلم وأكبر الذنوب، وهو الذنب الذي يغفره الله لصاحبه إن مات عليه.

والشرك بالله هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، سواء خصائص الله في الربوبية، أو في الأسماء والصفات، أو الألوهية.

ولهذا كما أن التوحيد ينقسم الأقسام الثلاثة -توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات- فإن الشرك ينقسم إلى أقسام ثلاثة: شرك في الربوبية وشرك في الأسماء والصفات وشرك في الألوهية. فمن أعطى غير الله شيئاً من خصائص الله في ربوبيته يكون جعل لله شريكاً في الربوبية، ومن أعطى غير الله شيئاً من خصائص الله في أسمائه وصفاته يكون جعله شريكاً لله في أسمائه وصفاته، ومن أعطى غير الله -عز وجل- من العبودية التي هي حق لله لا يجوز صرفها لغيره فقد جعله شريكاً لله -سبحانه وتعالى- في ألوهيته.

فالشرك ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاث.

والشرك هو التسوية؛ تسوية غير الله بالله، كما قال الله -عز وجل- عن أهل النار عندما يدخلونها قال: **﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾** [الشعراء: ٩٧-٩٨]، فتسوية غير الله بالله في خصائصه هذا شرك بالله ناقل من ملة الإسلام، وهو أيضاً عدل غير الله به،

والعدل التسوية ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) [الأنعام: ١٠١]، أي يجعلون غيره عدلاً له، أي مثيلاً ومساوياً.

والشرك هو أيضاً التنديد، أن يجعل مع الله ند، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، فهذه حقيقة الشرك وهو أعظم الذنوب وأخطرها، وهو محبط للأعمال مبطل لها، فالمشرك لا يقبل الله منه عمل ولا ينتفع بطاعة مهما كثرت أعماله ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [الزمر: ٦٥-٦٦].

قال المصنف - رحمه الله -: (وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَتَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ بَشَرٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ، أَوْ نَبِيٍّ أَوْ شَيْخٍ أَوْ جَنِّيٍّ أَوْ نَجْمٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ). فكل هذه مخلوقات لله، والمخلوق لا يُسَوَّى بالخالق ولا يُعطى من خصائص خالقه، ولا يُجعل ندًّا لخالقه، كيف يُسَوَّى المخلوق من تراب برّ العالمين ومالك الرقاب - سبحانه وتعالى -؟! كيف يسوى المخلوق الناقص الفقير العاجز بالرب الغني العظيم؟! فهذا أظلم الظلم وأشنعه على الإطلاق، أن يُسَوَّى غير الله بالله.

وتأمل كلمة المصنف وهي مأخوذة من الحديث قال: (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ) وهذا فيه لفتُ انتباهٍ لشناعة الشرك وشناعة أعمال المشركين، تفرّد الله - سبحانه وتعالى - بخلقهم وإيجادهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، فجعلوا له الشركاء ودعوا غيره من دونه، وأقبلوا بعبادتهم وطاعتهم وسؤالاتهم وطلب حاجاتهم إلى غير من خلقهم، وهذا من أشنع ما يكون، تفرّد بخلقهم ثم يتجهون بعبادتهم وحاجاتهم إلى غيره، وفي هذا المعنى يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله، تعلمون أن الله تفرّد بخلقكم فلا تجعلوا له أنداداً، لا تجعلوا له شركاء في العبادة، مثلها أيضاً قوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] أي: تفرّدت بالربوبية، تفرّدت بالخلق، تفرّدت بالإيجاد، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي: اخلصوا لي العبادة. (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ) يعني تفرّد بخلقك وإيجادك من عدم ثم يجعل له المشرك نداً وشريكاً.

وهذه أمثلة من مخلوقات الله: الحجر و الشجر والشيخ والنبى والقمر.. كل هذه من مخلوقات الله لا تستحق من العبادة شيئاً، العبادة حقٌ للخالق العظيم، الرب الجليل - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

(قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].)، هذه الآية فيها التنصيص على أن ذنب الشرك ذنب لا يُغفر لمن مات عليه، أما من كان مشركاً وتاب يتوب الله عليه، وكم من المشركين الكفار تابوا وقبلوا دعوة الأنبياء فتاب الله عليهم.

فإذن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ هذا في حق من مات على ذلك، أما قوله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في سورة الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣] هنا قال: ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وهناك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ قد يستشكل البعض الأمر، يعنى في هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وهناك قال: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ بما فيها الشرك يغفره الله، وتوضيح الأمر أن آية النساء في حق من مات على ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وآية الزمر في حق من تاب، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ أي لمن تاب، بما فيه الشرك، بدليل قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ أي توبوا، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ فقوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ أي توبوا إلى الله؛ فإن الله يغفر الذنوب، لا يتعاضمه ذنبٌ أن يغفره مهما عظم الذنب وبلغ الجرم وتعدّد إذا تاب منه صاحبه تاب الله عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ هذا في حق من تاب، وآية النساء في حق من مات على ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي من مات على ذلك.

ومن مات على الكبيرة غير تائبٍ منها ما حكمه؟

هو عرضةٌ للوعيد، ونصوص الوعيد يخشى عليه منها، ولكن نزول هذا الوعيد يترتب على أمور، ولهذا قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن عذّبه فإنه لا يخلد في النار، ثم هؤلاء أهل الكبائر إذا دخلوا النار بموجب كبائرهم وذنوبهم فإنهم يخرجون منها على دفعات دفعات وجماعات جماعات؛ لأنهم متفاوتون في فعل هذه الكبائر ليسوا فيها على درجة واحدة ولا مستوى واحد؛ فلهذا جاء في السنة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: ((ثُمَّ تَمِيتُهُمُ النَّارُ إِمَاتَةً، ثُمَّ يَخْرَجُونَ ضَبَائِرَ ضَبَائِرٍ)) الحديث في الصحيحين، ((ثُمَّ يَخْرَجُونَ ضَبَائِرَ ضَبَائِرٍ))

أي جماعات جماعات ((فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْفِرْدَوْسِ فَيَحْيَوْنَ بِمَائِهِ كَمَا تَنْبِت الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ))، أي التي يحملها السيل إذا جاء يقدر.

قال: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]). فمن مات مشركاً فهو واقع في أظلم الظلم وأكبر الجرم، وعقوبته أنه مُحَرَّمٌ عليه دخول الجنة ومأواه النار مخلداً فيها أبد الآباد لا يُقضى عليه فيموت ولا يُخَفَّفُ عنه من عذابها، يعني لا يكون له موت فيسلم به من هذا العذاب ولا أيضاً يُخَفَّفُ عنه من عذابها؛ بل دل القرآن على أن الكافر يزداد عليه العذاب في النار في قوله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في سورة النبأ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، قال العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية: إن هذه الآية أشد الآيات على الكفار أهل النار؛ لأنه قد يتطلع أو يؤمل أو يظن أنه سيُقضى عليه فيموت أو يظن أنه سيُخَفَّفُ عنه العذاب ويُهَوَّنُ عليه العذاب أو أنه يُخرج، فيأتي الرد، يأتيه الجواب: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يعني ليس لكم في هذه النار إلا الخلود فلا موت والعذاب المتزايد.

قال: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]). وهذا فيه أن الشرك أعظم من الظلم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأي وضع للشيء في غير موضعه أشنع من أن توضع العبادة التي هي حق لله في غير موضعها فتُصرف للمخلوق؟! فهو ظلم لأن فيه وضع للعبادة في غير موضعها، العبادة موضعها أن تُصرف لله وأن تُخلص لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وتكون خالصة له - جل وعلا -، فإذا وضعت لغيره: للملك أو نبي أو شجر أو حجر أو غير ذلك كان أظلم الظلم، قال: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

قال - رحمه الله -: (فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ قَطْعًا). (ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا) هذا قيد (مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ثُمَّ مَاتَ مُشْرِكًا) لكن من أشرك وتاب إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ومات موحداً يكون من أهل التوبة ويتوب الله عليه؛ لكن من أشرك بالله ومات على الشرك فهو من أصحاب النار قطعاً وجزماً، وهو من أصحاب المخلدين فيها أبد الآباد، (كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَذَّبَ)، فالموحد الذي لم يشرك بالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هو من أصحاب الجنة قطعاً، وقطعا سيدخل الجنة ما دام غير مشرك بالله، ((من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)) ثم هذا الدخول مختلف، قد يكون دخولاً أولياً - يعني بدون

مرور بمرحلة تعذيب في النار-، وقد يكون دخولاً بعد مرور بمرحلة تعذيب في النار؛ ولهذا الموحّدون أو الذين سلموا من الشرك هم ليسوا على طبقة واحدة، وأقرأ في هذا قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣] ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الواو هذه في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شملت ماذا؟ شملت الثلاثة: السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه؛ أي الظالم لنفسه بالذنوب والكبائر التي دون الشرك بالله، فهؤلاء الثلاثة كلهم قال الله - عزّ وجل - عنهم: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، والعلامة الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره يُعْظَم من شأن هذه الواو تعظيماً عجيباً ويُفخِّم من شأنها ودائماً إذا مر على هذه الواو في مواضع يقف عندها لأنها شملت الظالم، فالثلاثة كلهم يدخلون الجنة؛ لكن السابق بالخيرات والمقتصد كل منهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب.

المقتصد هو الذي فعل الواجب وترك المحرم.

والسابق بالخيرات هو الذي زاد على فعل الواجب وترك المحرم المحافظة على الرغائب والمستحبات.

فهذان كل منهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب دخولاً أولياً.

والظالم لنفسه أي الذي ظلم نفسه فيما دون الشرك، الذي ظلم نفسه فيما دون الشرك؛ لأن الظلم عندما يُطْلَق في القرآن:

تارة يُطْلَق ويُراد به الظلم الذي هو المعاصي التي دون الشرك.

وتارة يُطْلَق ويُراد به الظلم الذي هو الشرك، كما مر معنا قريباً ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، و﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ثم أيضاً لو تقرأ بقية السياق الذي معنا في سورة فاطر يأتي في تمام السياق بعد أن ذكر هذه الأقسام الثلاثة: المقتصد والسابق والظالم لنفسه؛ لما ذكرهم ذكر ثوابهم عند الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - انتقل إلى القسم الآخر وهو الكافر قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا



**لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)** ﴿فاطر: ٣٦-٣٧﴾، قوله هنا: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ غير ظالم لنفسه، هذا ظلم وذاك ظلم، هذا ظلم الكفر موجب لدخول النار والخلود فيها أبد الآباد، وذاك ظلم في ما دون الكفر وفي ما دون الشرك بالله، وهو عُرْضَةٌ للوعيد عُرْضَةٌ للعقوبة، هذا الذي هو ظالم لنفسه فيما دون الشرك - ظلمها بالمعاصي والذنوب التي هي دون الشرك - هو من أهل الجنة، لماذا؟ لأن الله قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣]؛ لكن لا يلزم من ذلك أن يكون دخولاً أولياً، هو سيدخل الجنة قطعاً؛ لكن لا يلزم من ذلك أن يكون هذا الدخول أولياً؛ مثل ما جاء أيضاً في الحديث قال -عليه الصلاة والسلام-: ((**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة يصيبه قبل ذلك أو لا يصيبه**))؛ أي قد يكون عنده معاصي وذنوب ويدخل بها النار؛ ولكنه مآله ومصيره إلى الجنة.

ثم أيضاً دخول هؤلاء للنار هو دخول من أجل التزكية والتمحيص والتطهير؛ مثل ما قال ابن القيم في بعض كتبه كلمة جميلة ومفيدة قال -رحمة الله عليه-: "هناك ثلاثة أنظر في الدنيا من تطهر بها فقد طهرته وهي: الحسنات الماحية والتوبة النصوح والحسنات المكفرة؛ فمن تطهر بها طهرته وإلا طهر في نهر جهنم يوم القيامة"، فأصحاب المعاصي التي هي دون الشرك ودون الكفر بالله دخولهم النار دخول تطهير، لماذا؟ لأن الجنة دار الطيب المحض، ولاحظ كلمة ﴿طِبْتُمْ﴾ التي تُقال للداخلين ﴿طِبْتُمْ﴾ **فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴿الزمر: ٧٣﴾، فالذي طيبه شابه خبث يطهر من خبثه في النار إذا لم يكن قد تطهر منه في الدنيا، ثم يدخل الجنة مطهراً؛ ولهذا قال ابن القيم في كتابه الوابل: الدور ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض، ودار الطيب الذي شابه خبث؛ وهي نار عصاة الموحدين، فهذه النار التي هي لعصاة الموحدين ناراً يُعذبون فيها ويصلون عذاباً يُطهرون؛ ولذلك لما كانت كبائرهم في الدنيا متفاوتة صار أيضاً خروجهم من النار متفاوتاً دُفَعَات تلو دُفَعَات حتى يخرجون عن آخرهم، فلا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أهلها أهل الكفر والشرك بالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، هذا معنى قول المصنف (**كَمَا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَاتَ مُؤْمِناً فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَذَّبَ**).

وهنا تستفيد فائدة أن التوحيد والإيمان موجب لدخول الجنة؛ فإن كان توحيد مع تحقيق للإيمان وتتميم له سواء كمل الإيمان الواجب أو مع الإيمان الواجب كمل الإيمان المستحب فهذا دخوله للجنة دخول أولي، أو يكون عنده توحيد وإخلاص لله وبعد عن الشرك؛ لكن عنده معاصي وظلم نفسي



فهذا أيضاً من أهل الجنة لكن لا يلزم من ذلك أن يكون دخوله لها دخولا أوليا فقد يمر قبل ذلك بمرحلة تعذيب، قال: **(فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَذِبَ)**.

**(قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ...))**  
**الْحَدِيثِ..))**، **((وعقوق الوالدين))** وكان مُتَكِنًا فجلس وقال: **((أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ))** وما زال يكررها -عليه الصلاة والسلام- حتى قال الصحابة: ليتته سكت.

فهذا الحديث فيه تنصيص على أن الشرك أكبر الكبائر، وفي مقدمة الكبائر، وهو أخطرها. وكذلك قوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: **((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ...))**، فَذَكَرَ مِنْهَا الشَّرْكَ؛ بل في مقدمتها الشرك بالله -عز وجل-.

وقوله: **((اجْتَنِبُوا))**: سبق التنبيه على هذه الكلمة من فائدة.  
وقوله: **((الْمُوبِقَاتِ))**: أي المهلكات، سميت الكبائر موبقات لأنها تُهلك صاحبها، وأيضاً تُسمى (المُقْحِمَات) لأنها تُقْحِم صاحبها في العذاب وفي الهلاك، وأيضاً تسمى (المهلكات)، وتسمى (الكبائر)، وتسمى (العظائم)؛ عظائم الذنوب.

**(وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ))** ، ولهذا أيضاً فيه بيان هذه الكبيرة الكفر والشرك بالله بأن يُبدّل دينه بدل التوحيد فينتقل إلى الشرك والتكذيب، نعم.

